المحاضرة الثانية

الفكر الاجتماعي في مصر القديمة.

إن مصر بلد زراعي ، والفلاح هو العنصر الأساسي فيها. فقد كان الفلاح مرتبطاً بحيوانه ونباته وكان متمتعاً بحياته الاجتماعية، يغنى ويرقص فى الحفلات ويقدم القرابين ويشارك فى الطقوس ويقدم على المشاركة فى الحرب والصيد .

- وبجانب الزراعة زاول المصريين القدماء التجارة والصناعة واستفادوا من النيل فى ممارسة الأنشطة الاقتصادية والسياسية والأخلاقية وظهور المعاملات الإنسانية وكانوا دائماً هدفاً لغارات القبائل النازحة من آسيا مما أتاح لهم فرص الاحتكاك بشعوب أخرى مما يزيد من تبادل الآراء والعقائد الذى يؤدي إلى زيادة المعارف والفنون واستحداث كثيراً من طرق التفكير والعمل ومطالب الحياة الاجتماعية.

- إن سكان مصر القديمة (سكان الدلتا) وصفوا المدينة بأنها وحدة سياسية قبل أن يعرفها اليونان وكانت المدن تتمتع بالاستقلال الذاتى وكانت بمثابة مراكز اجتماعية وتجارية

- ومع توحد البلاد أصبحت مصر امبراطورية كبيرة فمن الطبيعي ظهور بعض المفكرين الذين لا يتفقون مع الفرعون ورجال حكومته في السياسة الداخلية والخارجية مما أدى إلى ظهور التيارات السياسية والاجتماعية.

- وكما قامت الثورة المدنية على أيدى الأسر الحاكمة التي حددت الخطوط الرئيسية الدينية والعقيدية والاقتصادية والسياسية لحياة الشعب وظهرت نتائجها في بعض الميادين التجارية والصناعية والزراعية والفن والأدب وأثرت على كل مظاهر الحياة الاجتماعية.

- إن الآثار التي تركها المصريون القدامى توضح لنا ألوان التفكير الاجتماعى عندهم وتوضح حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية وطقوسهم الجنائزية وهذا ما ورد فى كتاب الموتى، فقد كانوا يركزون على نظرية (الإلة الحاكم) وهذا يدل على أن التفكير الاجتماعى لديهم متصل بالدين.

- كما كان الشعب المصرى عملياً بمعنى أنه يفضل العمل وكما امتاز بحسن السياسة وفن الإدارة وكان للنظام الأسري الفضل فى دعم الحياة الاجتماعية. حيث كانوا يهتمون بالمشاركة الوجدانية وعواطف حب الغير والعمل الإنساني.

- كانت نظرية الطبقات سائدة فى هذا الوقت وكانت مرتبطة بالأفكار السياسية وقسموا المجتمع إلى طبقتين :

- الطبقة القدسية التى تشمل الفرعون وأنساله وكهنته (رجال الدين)

- أما الطبقة الثانية تسمى الطبقة الأرضية وهى طبقة عامة الشعب كالزراع والتجار والجنود، ومع ظهور قادة من أبناء الشعب أدى إلى ضعف الطبقة المقدسة وأصبح المجتمع مكوناً من ثلاث طبقات (الحكام ، رجال الدين ، عامة الشعب).

- وفى عصر الملكية الحديثة ظهرت طبقة رابعة وهي طبقة الجند وكان لتدخل هذه الطبقة في شؤون المجتمع ومحاولة فرض سيطرتها عليه أثر فى توجيه الشعب نحو حركات المقاومة السلبية، وظهرت كثير من الحركات الوطنية وزاد خطرها فى عهد الحكم البطلمي.

- وكان الفن المصري يوضح التفكير المصري القديم وأن الشعوب القديمة استعارت فنونها من الفن المصري ، أما الأدب فكان من مظاهر الإنتاج التى تبين عظمة التفكير المصري القديم وظهور كثير

- من الحكماء والفلاسفة مثل "أمينحتب" و"بتاح حتب" ، وترك هؤلاء قصص أو نصوصاً تمثل الإنتاج الفنى مثل قصة سنوحى والأخوين والحق والباطل وأيضاً ظهور كتب الأدب الديني (نصوص الأهرام والتوابيت وكتاب الموتى).

- وكان هناك عاملين تسببا فى تطور الفن وهما :

- العامل الأول : إتساع نطاق الإمبراطورية المصرية واحتكاك المصريين بشعوب أجنبية مما أدى إلى كثرة استخدام الكلمات والمصطلحات الأجنبية

- أما العامل الثانى: هو ضرورة إعداد جيل من الشباب المثقف للعمل بدواوين الحكومة.

- أما من الناحية التشريعية فكان تعاليم الملك هو التشريع الأمثل فمثلاً أصدر مرسوم " حور محب" لإعادة الأمن للبلاد والقضاء على الرشوة والفساد واستغلال النفوذ وقام المصريين بمحاولتين لتجميع القوانين والتشريعات:

- الأولى : قام "بوخوريس" مؤسس الأسرة الرابعة والعشرين.

- أما الثانية : قام بها أحمس وهذا يدلنا على قيمة الوحدة القانونية فى دعم الوحدة الاجتماعية وتحقيق المساواة وقد ظهر هذا فى تنظيم الهيئات الشعبية التى تهدف إلى الإصلاح والتنظيم الإداري والقانوني.

- لم يهتم المصريون بالتفكير الاجتماعى فقط بل اهتموا أيضاً بالتفكير في شؤون الفلك والطبيعة والهندسة وعملوا خرائط جوية ووصلوا إلى كثير من القضايا الهندسية والرياضية

- كما اهتموا بالطب أيضاً والعلاج المنزلي والإسعافات الأولية والجراحة، فإن البردية (أدوين سميث وبردية إيبرس) يعتبران من أقدم الرسائل الجراحية فى تاريخ الإنسانية.

- ولكن المصريين القدامى لم ينظموا عملهم ولم يصلوا إلى فكرة العلم المنظم التي وصل إليها مفكرو اليونان ولكن انتجوا المصريين القيم الروحية والإنسانية والفلسفية والعلمية والوصايا والحكم التى تهدف إلى إسعاد البشر واعترف الرومان بأنهم استفادوا من فنون وآداب وتشريعات المصريين ولذا كان انهيار الحضارة المصرية القديمة حزناً للشعوب التى اعترفت بالمجد والعظمة والسلطان وعرفاناً بالجميل والفضل والتسامح.

التفكير الاجتماعي في الهند:

التفكير الاجتماعى فى الحضارة الهندية:

- كتب "الماجسطى" عن الهند ووصفها وصفاً ممتعاً وأوضح مظاهر الحضارة في عهد الملك " نشاندراجوتيا" الذى هاجم جيش الإسكندر أما العالم الهولندي " إبراهام روجر" ألف كتاباً عن عادات وتقاليد وديانات الهند وكان عنوانه " باب مفتوح إلى الوثنية الخبيثة " وهذا الكتاب شجع العلماء على دراسة التراث الأدبي والفني والفلسفي والديني للهند.

- فمثلاً قام العالم " جونز" بترجمة كتاب "شا كنتالا " المنسوب إلى الشاعر " كاليداسا " وأدى ذلك إلى زيادة الاهتمام بدراسة الآثار الهندية الأدبية والفلسفية مثل زيادة المعرفة بالكتب والأشعار المعروفة باسم" باجافاجيتا" وهي من أهم الآثار الأدبية والفلسفية التى تحتوى على أدق النظريات الصوفية والدينية التى عرفت عن الهند.

- ولقد قام العالم "ولكنز " بترجمة هذه الأشعار إلى الانجليزية ثم ترجمها " آلاب بارود " إلى الفرنسية وقام العالم " شلجل " بترجمتها إلى الاتينية وكتب عنها العالم " كوزران " فى كتابه " تاريخ الفلسفة" ومن الآثار الهندية قوانين "مانو أو تشريعات مانو" وكما أكتشف "سيرجون" أثناء أعمال الحفر والتنقيب فى منطقة "موهنجو دارو" أن حضارتها تشبه حضارة مصر فى عهد الأسرة الرابعة.

التفكير الاجتماعي في الهند:

- تتميز الهند بآدابها القديمة وتراثها الفلسفي، وتشريعاتها المعروفة باسم قوانين "مانو"
- قوانين مانو أو المانوية هي من أقدم التشريعات الهندية التي وضعتها طائفة البراهما للتعرف على قواعد الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد والأعراف.
- من أهم النظم التي تناولتها تلك القوانين هي ما يعرف باسم "التقسيم الطبقي".
- فقد حدد الدين البراهمي قواعده ورسم حدوده ونظم العلاقات بين الطبقات الاجتماعية. وصورت المانوية هذا النظام على أنه وحي من الإله براهما نفسه.
- نحن ندرك أن في الهند يوجد ما يسمى بالمنبوذيـــن سنتحدث عن هذه الفئة وتقسيم مانو لطبقات المجتمع في الهند
- قسم مـــــانو المجتمع الهنـــدي إلى أربعة أقسام:
- ١ /طبقة البراهمـــا
- ٢ /طبقة الكشاترين
- ٣ /طبقة الفيسائيين
- ٤ /طبقة السودريين

١ /طبقة البراهمـــا

رجـال الديـن والحكـام والجاه والنفوذ، يستأثرون بالسلطة ويقومون بتعليم الناس التعاليم الدينية

٢ /طبقة الكشاترين

المحاربين أو الجنود يحافظون على النظام داخليا ويحاربون الدول الأخرى

٣ /طبقة الفيسائيين

"التجار والصُناع " المهنيين اللذين يقومون بالصناعة والزراعة.لا يحق لم أن يكونون جنود أو رجال حكم مهما وصلوا إلى درجه عاليه من العلم وأبنائهم يكونون مثل إبائهم من نفس الطبقه لا يسمح لهم بالتطور..

٤ /طبقة السودريين

" المنبوذين ":وهم العبيد والأرقاء لا يسمح لهم بالمشاركة بالسياسة ولا بالحياة العسكرية فهم مثل آلـه للإنتاج والعمل لا يحق لهم بأي حال من الأحوال الوصول لطبقه الجنود أو البرهاما .وكذلك أبنائهم يرثون طبقات أبائهم

ماذا نفهم من هذه الطبقية ؟

هذه الطبقية طبقية مغلقة فمن المستحيـل أن يكون الفيسيائي كشاتري أو الكشتاري براهمي .. فهي طبقة مغلقة وكل يبقى على طبقته فلا مجال للتطور

هذا النظام يحتوي على فكرتين:
الأولى: جمود الوضع الاجتماعي فلا يتغير الوضع الطبقي مطلقاً من الأصول إلى الفروع.

الثانية: الخضوع لما يفرضه الدين على أفكار كل طبقة من التزامات وبالتالي هناك أسفار الفيدا يقوم بشرحها البراهما أو رجال الدين و على جميع الفئات الأربعة أن يخضعوا لهذه الأفكار والتعليمات والبراهما يستأثرون

بالجاه والسلطة ويعتمدون على الجنود "الكشاتريين "في تطبيق هذه التعليمات..
ووظيفة الكشاتريين هي : حماية الدولة وحماية النظام وهم البراهما

أما الفيسائيين والسودريين فلا يحق لهم مطلقاً الاشتراك في أنظمه الحكم والسياسة والدفاع ووضع التشريعات فهم معزولين عن الحياة السياسية و لو حاول السودارريين الوصول للطبقة البراهما أو الكشتاريه.

ويتعرضون لشتى أنواع العذاب كصب الحديد في أذانهم وقطع اللسان وتقطيع أجزاء من الجسم..

تقسيم الطبقات على الجســـم الإنساني:

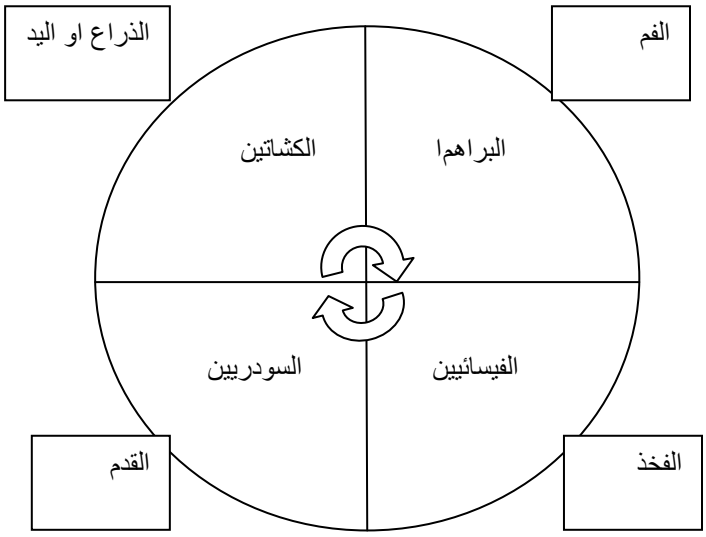

نلاحظ أن الفم أطهر وأشرف ما في الإنســان وتمثل عندهم في طبقة البراهمــا

والقوة والسند في الذراع وتمثل في طبقة الكشاتريين

والفخذ للشهوات وبالتالي الخدمات وبالمقابل من يقدمها لهم وتمثل في الفيسائيين

والقدم هي موطأ النجاسة وتمثل في السودريين

وبهذا التقسيم إعاقـــة لتطوير التفكير الاجتماعي فلا يوجد هناك إبداع أو طموح لتطور كل طبقة من نفسها

كانت هذه التشريعات قاسيه على المجتمع الهندي .. وكان المجتمع الهندي قائم على هذا الأســـاس فترة طويلة وربما يوجد إلى الآن في بعض المناطق

وعندمــا نتحدث عن الطبقــات نقصد بها العرق وليس باعتبار اللون أسود أو أبيض

- مما يؤخذ على هذا التفكير لدى الهنود أمرين :

- الأمر الأول : جمود الوضع الاجتماعي بــمعنى أن الفيسائين لا يكون براهماني ، أو البراهماني لا يكون سودري ، فالأمر ليس وراثي إلى حد ما يبنى عليه عدم تغير الوضع الطبقي من أعلى إلى أسفل أو من أسفل إلى أعلى .

الثاني: أن النظام الطبقي في الهند كان أداة إعاقة للتطور الاجتماعي ووسيلة جمود في المجال الحضاري.

ما هي الديانة التي تفرعت عن الديانة البراهمانية؟

تفرعت عن الديانة البراهمانية الديانة البوذية، التي جاءت أكثر تطوراً حيث نادت بوجوب المساواة بين أبناء المجتمع، وخففت من حدة الفروق الطبقية.

لقد أعلنت البوذية مبادئ الإنسانية ودعت المجتمع الهندي إلى الحرية ، والإخاء ، لكنها لم تنجح في تقرير حقوق وواجبات المواطنين بشكل حاسم.

ولم تترك أثراً عملياً في المجتمع الهندي القديم.

لقد جنح التفكير الاجتماعي البوذي إلى الزهد في أمور الدنيا، فاتسم بصبغة إنسانية ينطوي على مفاهيم خلقية وعملية.

باختصار كان للتفكير الاجتماعي البوذي طابع أخلاقي سلوكي، هدفه تخليص المجتمع الهندي من براثن النظام الطبقي القائم على العقيدة البراهمية التي كانت تزعم بأن البراهماني له طبيعة مقدسة.

لقد أكدت البوذية بأن القداسة ليست صفة ولادية أو وراثية.

- وفى هذا الصدد وضع المؤلف البوذي "اسفاغوشا" أشعار" فادزا كوتشى" وقاما بترجمتها العالمان "ولكنس وهودجسن" وتشمل هذه الأشعار هدم النظام الطبقى بالإعتماد على الأدلة الدينية ، التى تشمل أن طبيعة البراهمة ليست مكتسبة لأنهم من سلالة إبراهمية ولكن كل إنسان يمكن أن يحصل على هذه الصفة لأنها مظهر من مظاهر تطهير البدن من الشرور وأيضاً يرى أن العقيدة البراهمية تحرم الناس من الحياة الدينية.
- ما هو هدف الديانات والفلسفات الهندية القديمة ؟
- لم يكن هدف الديانات والفلسفلت الهندية القديمة تكوين الإنسان الصالح، إنما الحصول على الرهبان ، أو زهاد ، أو متعبدين، ، وبهذا صرفوا النظر عن البحث عن حقوقهم والقيام بواجباتهم الاجتماعية والسياسية.
- وعليه لم يتوصلوا إلى المقومات الأساسية للنظم الاجتماعية والحكم السياسي الأمثل، وترتب على ذلك استمرر التحكم والتسلط لتدعيم أركان العبودية والفقر والجهل لعامة الشعب لزمن طويل.
- فلم يبلغوا الرقي الفكري والاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي بلغته المدنية المصرية القديمة.
- وفى النهاية يتضح لنا أن الهند لم تهتم بالحياة الدنيا بل ركزت على العالم الآخر واعتبرت الحياة شراً من الشرور وأن العالم الآخر هو الخير الأعظم ولذا لم تهتم الهند بالتربية الاجتماعية والمواطنة الصالحة ولكن اهتمت بخلق قديسين ومتعبدين وأبعدت الناس عن التفكير فى الدولة وعن التفكير فى الحقوق والواجبات الاجتماعية والسياسية وكانوا يسعون إلى تحقق المدينة المقدسة ولذا جهلوا المقومات الأساسية للنظم الاجتماعية والسياسية فاستمروا منشغلين بالعبودية والجهل والمرض أجيالاً طويلة.
- خلاصة ما سبق يتضح لنا أن شعوب الشرق كانت أفكارهم مفككة وغير منظمة وهى أقرب إلى الفلسفة والدين وكانت تنقص المفكرين النزعة التحليلية ولذا اليونان تتفوق على الشرق فى أن مفكريها نظموا معلوماتهم ووصلوا إلى فكرة القانون العلمي والبرهان المنطقي وهم أول من عالجوا الدراسات الاجتماعية ووصلوا إلى الحقائق الاجتماعية بشكل منظم وعلمي .